شجرة الزيتون

الأخ أبو حفص

جلس الصديقان يتحدثان :

– إنني لا أدري ماذا أصنع ؟ لقد تعلمنا الزراعة دون فائدة . ليس لنا أرض نستغلها ولا نجد أحداً يتركنا نعمل في حقله .

– إنني سمعت برجل عنده أرض ورثها عن والده لكنه لا يحسن الزراعة . إنه يعيش على ما ورثه من والـــده ولا يقوم بأي عمل . ما رأيك لو اتفقنا معه على أن نستغل أرضه بزراعة الزيتون ونتقاسم الناتج بالتساوي

– فكرة جميلة ..

– انظر ! إنه يدخل بجبته الجميلة كعادته . (يناديه)

– صاحب الحقل : ما بالكما ؟

– لقد فكرنا في أمر فيه فائدة لك ولنا . إنّ لك أرضاً لا تستغلها فما بالك لو زرعناها أنا وصديقي زيتوناً علـــى أن نتقاسم الناتج بالتساوي ؟

– إنه أمر ليفرحني أن أستثمر أرضي وأحصل على ربح إضافي لم أكن أحلم به . إنني موافق على ذلك .

– والله على ما نقول شهيد .

قام الصديقان بغرس فسائل الزيتون ولأن شجر الزيتون بطيء النمو يعطي ثمره متأخراً فكّرا في اســـتغلال الأرض بنباتات ثانوية بجانب الزيتون تدرّ عليهم ناتجاً سنوياً ، وكان الجميع يتقاسم الغلة إلى أن كبر شجر الزيتون واقتـــرب من الإنتاج . وعندها تحلّب فم صاحب الأرض شرهاً وفكر في أن يحصل على الثمار لوحـــده ، ولكنـــه علـــم أن الصديقين لن يتنازلا له عن حقهما بسهولة . وفكر ملياً كيف يمكنه خداعهما . واهتدى أخيراً إلى أن يعطيهما جزءاً صغيراً من الأرض على أن يتركا له الباقي .. ولقد رأيتهم في المساء يجلسون يناقشون الأمر .

الصديقان : إنك تعلم أنك لن تستطيع استغلال الأرض وسيتلف عملنا كلّه

– إنني صاحب الأرض المطلق وليس لأحد أي دخل بي وبأرضي ، إنني أعلم كيف يجب عليّ أن أتصرف ولـــن تستطيعا خداعي بكلامكما .

– رفقاً رفقا ! إنك تعلم أننا عملنا في أرضك تلك السنين الطويلة إلى أن أصبحت على ما هي عليه الآن . وإنـــه لعزيز علينا أن نعيدها على ما كانت عليه لنسلمها لك كما أخذناها ، لأن من واجبنا الذي نشعر بـــه الإصـــلاح لا الإفساد . فما تعطينا أجر عملنا .

– الأمر سهل جدا . لكما جزءٌ من الأرض . أعطيكما إياه بما فيه من الزيتون على أن تتركا لي الباقي .

– دعنا نفكر في الموضوع إلى الغد .

وانطلق الصديقان يناقشان الموضوع وقبلا فكرة أخذ جزءٍ من الأرض وأما صاحب الأرض فجلس بـــين أولاده يحدثهم الخبر فأنكروه عليه ونصحوه بأن يفي بالعهد لأن فيه النجاة خاصة وأنه لا يوجد أحد قادر على القيام بأعمال الحقل أفضل من الصديقين وعندها غضب الوالد غضباً شديداً وتطاير الشرر من عينيه :

– (ليس عليكم إلاّ السمع والطاعة لقد تعبت عليكم صغاراً ورعيتكم كباراً حتى تخالفوني في رأي يخصني وأمـــر ليس لكم فيه إلاّ السكوت) .

استلم الصديقان نصيبهما وقاما برعايته حق الرعاية ونام صاحب الأرض ممنياً نفسه بالربح الوفير . و لم يعلم بنبـــأ المرض الذي هاجم أشجار الزيتون وقام الصديقان بمعالجة أشجارهما بالعقاقير الواقية وكان كلمـــا دخـــل صـــاحب الأرض أرضه رأى شجرة قد جفت أغصانها وسقطت أوراقها فلا يبالي بها لكثرة ما عنده من الأشـــجار ، وهكـــذا شجرة بعد شجرة حتى جاء موسم قطف الثمار وإذا بما يعادل نصف أشجاره قد قضى عليها المرض واســـتحالت إلى أخشاب لا تصلح إلاّ للتدفئة في فصل الشتاء . وعزى نفسه قائلاً لأولاده :

– على المرء أن يكون ذكياً يتصرف التصرف المناسب في الوقت المناسب . لو بقي الصديقان شـــريكين لي لمـــا حصلت إلى على ثلث الثمار وأنا الآن قد حصلت على النصف وبقيت سيداً لأرضي لا ينازعني عليها أحد .

غضب الأولاد من هذا المنطق الأعوج ولكنهم تذكروا أمر والدهم ووجوب طاعته وسكتوا على مضض .

في العام القادم أتى المرض على ما بقي من أشجار الحقل فأصبح خاوياً على عروشه وبجانبه جنة الصديقين خضراء يانعة تزورها الطيور صباح مساء ، وحينذاك أدرك الرجل الأمر وعاد إليهم يرجوهما أن يعودوا إليه ليـــستغلا الأرض ويتقاسموا الثمر جميعاً على أن يبقى لهما جزأهما خاصاً بهما . فقالا :

– لقد جربنا غدرك فانتهينا ولو قدرت على وفائنا لسعدت .